الرهان العربي الرسمي الخائب

بقلم: د. وليد عبدالحي...

لماذا تنحاز الولايات المتحدة لإسرائيل؟ سؤال قد يبدو ساذجا لدى البعض، وقد يبدو واضحا في اسبابه لدى البعض الآخر، لكني أود التوقف عند "الذرائعية العربية" لتفسير ذلك ، وسنناقشها حجة بحجة:

1- الزعم بأن اللوبي اليهودي (المكون من شرائح يهودية ومن الصهيونيين المسيحيين) يتحكم في القرار الامريكي من خلال المال والاعلام والاصوات الانتخابية..الخ. وهنا لا بد من التوقف عند هذه النقطة، فهي حجة صحيحة في معطياتها ، ويكفي الاطلاع على الكتاب المشهور (Mearsheimer John, Walt Stephen - The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy. London عام الصادر 2006)، في اليهودي اللوبي وزن لمعرفة القرار الامريكي، ولكن لماذا يتحكم اللوبي اليهودي في توجهات القرار بقدر غير هين؟

دعوني ابدأ بمثال تبسيطي: لو كنت تاجرا وتتعامل مع شركتين متنافستين، ثم وجدت ان مديري الشركتين يقول لك كل منهما عليك أن تختار :إما التعامل معنا او مع الشركة المنافسة لنا، هنا ستجد نفسك مضطرا لحساب عقلاني يقوم على اساس اي الشركتين اكثر فائدة وتختارها، ولكن ما هو افضل وضع لك؟ هو ان تبقى على علاقة مع الطرفين لان هذا هو الافضل لك ، والبديل الاقل جدوى هو ان تختار احدى الشركتين على اساس حجم المنفعة لكنك ستخسر منافعك من الاخرى.

التطبيق على العلاقة العربية مع امريكيا:

لنفترض- دعوني افترض- ان العرب قالوا لأمريكا عليك أن تختاري إما مصالحك معنا او مصالحك مع اسرائيل، هنا سينحاز العقل البراغماتي الامريكي للمصلحة الاكبر والتي هي مع العرب بحكم الموقع الاستراتيجي والنفط والودائع المالية ومشتريات السلاح والتجارة وانتشار اللغة الانجليزية والاستثمارات والتوظيف للصراع مع القوى المعادية لامريكيا بفتح القواعد والدعم الاعلامي...الخ..ناهيك ان العديد من الكتاب الأمريكيين المرموقين يرون ان اسرائيل تحولت إلى عبء.. .

لكن الولايات المتحدة في الوضع الحالي تجد ان مصالحها مع العرب مضمونة تماما ومصالحها مع اسرائيل مضمونة تماما، فلماذا تضحي بأحدهما، انها وبعقلانية لا تضحي باي منهما إلا إذا وُضعت امام الاختيار بينهما ،وهو ما لم تفعله الدول العربية ، وبالتالي لا داعي للتستر بقوة اللوبي اليهودي لتبرير الموقف الامريكي، فأنتم لم تضعوا الولايات المتحدة في موقف الاختيار ، فلماذا تغير امريكا سياستها وهي تجني مصالحها منكم ومن اسرائيل معا؟

ودعوني أقدم مثالا واضحا على ذلك لفهم العقل الامريكي: فمع اقتراب نهاية حرب فيتنام ،كانت الولايات المتحدة في وضع سيء جدا في فييتنام، ويروي كيسنجر أن ماوتسي تونغ قال له بوضوح: نحن على استعداد

للتخلي عن دعم فييتنام مقابل ان تطردوا تايوان من الامم المتحدة (وكانت تايوان حينها عضوا دائما في مجلس الامن ولها حق الفيتو وتعتبر هي الممثل الشرعي للصين الكبرى)، وتطور الامر لاحقا باتجاه موضوع صين واحدة، وهنا اجرى كيسنجر حساباته فوجد ان الخلاص من الورطة في فيتنام(وعوامل اخرى لا مجال للاسهاب فيها) تستحق التضحية بتايوان ، رغم ان تايوان كان لها لوبي مؤثر للغاية(ابرز شخصياته الصيني وهو الفترة تلك في العالم في رجل أغنى جانب الى ،Walter Judd و Marvin Liebman : التايواني(Vung Tse Soong،) ناهيك عن أن للوبي التايواني علاقاته المالية مع أكثر من 80% من رجال الكونجرس من خلال هيئات مسجلة في الولايات المتحدة استنادا الى قانون تسجيل الوكلاء الاجانب Foreign Agents Registration Act)).

ماذا يعني ذلك ؟ أن الولايات المتحدة تتأثر باللوبي، ولكن إذا كانت " المصلحة الاستراتيجية الامريكية العليا " تتضارب مع مصلحة جهة أخرى فان اللوبي يتوارى تأثيره، وسأعطي بعض الامثلة الواقعية من التاريخ العربي المعاصر:

أ- كتاب رئيس الوزراء الاسرائيلي الاسبق اسحق شامير (Up Summing) الصادر عام 1994 الذي يروي فيه كيف امره بوش بعدم الرد على صواريخ صدام حسين التي ضربت تل ابيب قبيل حرب الخليج ، ويشير شامير (من صفحة 217 -226) انه كان مع خيار الرد الفوري على الصواريخ ،ولكنه اضطر للانصياع، لان المصلحة الامريكية تقتضي ذلك، وهي المرة الاولى التي تتعرض فيها اسرائيل للضرب ولا ترد..ومن يقرأ الصفحات التسع الخاصة بهذا الموقف يشعر بالمرارة التي احسها شامير لكنه لم يتمكن من التمرد.

ب- الوضع الذي واجهه بن غوريون عام 1956 مع ايزنهاور ، وقد تضمنت رسالة ايزنهاور الى بن غوريون النص الحرفي التالي(الرجاء التنبه للصيغة القاسية) يقول ايزنهاور :

" لقد استرعى انتباهي التصريحات المنسوبة لحكومتكم والتي تفيد بأن إسرائيل لا تنوي الانسحاب من الأراضي المصرية، بناء على طلب الأمم المتحدة. ويجب أن أقول بصراحة، إن الولايات المتحدة تنظر إلى هذه التقارير، إذا كانت صحيحة، بقلق عميق ،وإن أي قرار من هذا القبيل تتخذه حكومة إسرائيل من شأنه أن يقوض بشكل خطير الجهود العاجلة التي تبذلها الأمم المتحدة لاستعادة السلام في الشرق الأوسط، ولا يمكن إلا أن يؤدي إلى إدانة إسرائيل باعتبارها منتهكة لمبادئ وتوجيهات الأمم المتحدة."

ولم يجد بن غوريون مخرجا الا الانصياع الفوري مباشرة ونفذ الانسحاب صاغرا.

ت- في صفقة الاواكس المشهورة للسعودية عام 1981 ، بذل اللوبي اليهودي كل جهد لمنع بيعها للسعودية(وكانت حجة اللوبي اليهودي ان اي تغيير في النظام السعودي سيجعل هذه الطائرات بيد النظام الجديد كما حصل مع الاسلحة التي تم بيعها لشاه ايران وانتهت بيد الخوميني)، ولكن ريغان تجاوز كل تأثير اللوبي وعقد الصفقة لانه رأى فيها مصلحة امريكية تفوق الاعتراضات الاسرائيلية.

السؤال الاستراتيجي بعد ذلك هو" هل وضع العرب الولايات المتحدة امام الاختيار إما مصالحكم مع اسرائيل او مصالحكم معنا"..؟ الجواب الواضح هو لا... لذلك لا تتستروا باللوبي لتدعموا ذرائعيتكم، افعلوا ما فعله ماوتسي تونغ...فلماذا تغير الولايات المتحدة سياستها طالما مصالحها العربية والاسرائيلية مصونة مع الجانبين؟ لن تغيرها ، وهو سلوك امريكي عقلاني.

إن منطق تاريخ العلاقات الدولية يشير الى ان الدولة الاكبر (سياسيا واقتصاديا وعسكريا وعلميا وسكانيا وجغرافيا) هي التي تسير الدولة الاصغر وليس العكس، لذا من غير المجدي ستر عورات السياسة الامريكية باللوبي اليهودي، لان اللوبي اليهودي حاضر في القرار الامريكي لأنكم غائبون.

اما الرهان العربي الدائم على "الرئيس الجديد" عند كل انتخابات رئاسية امريكية ، فيكفي ان اشير إلى انه منذ عام 1948 وحتى حرب غزة الحالية،وقعت 18 حربا بين العرب واسرائيل ، منها 10 حروب في زمن الديمقراطيين و8 حروب في زمن الجمهوريين، وهو ما يعني ان ابليس والشيطان كينونة واحدة، فسواء عاد بايدن لكرسي السلطة في نوفمبر القادم –وهو الارجح طبقا لنموذج ليكتمان- او فاز ترامب ، فالنتيجة في جوهرها واحدة.

2- لدي سؤال لمروجي نظرية اللوبي اليهودي : لماذا لا تشكلوا لوبي عربي بحكم عدد العرب والمسلمين الكبير ممن يحملون جنسية امريكية، ولكم مليارات الدولارات في استثمارات في قطاع واسع من المشروعات الامريكية، فالعرب هم المشتري الاول للسلاح الامريكي ،فهل حاولتم استغلال علاقاتكم مع شركات الانتاج العسكري أو ما سماه رايت ميلز" المجمع العسكري الصناعي" للتاثير عليه؟ وهناك الآن مجموعات مدنية من النخب الامريكية التي يطلق عليها الحركات التقدمية تؤجج العداء ضد اللوبي اليهودي ،فهل حاولتم التواصل معهم؟ هل درستم كيفية توظيف او استثمار التحول الراهن في الراي العام الامريكي الشاب(من 18-30) والاقل تاييدا لاسرائيل ؟

3- من الضروري ادراك ان اللوبي اليهودي ليس كل من يعمل فيه يهوديا، وليس كل متعاطف امريكي مع اسرائيل هو جزء من اللوبي اليهودي ايضا، فاليهود يمثلون 2.3% من سكان امريكيا ، ولكنهم مرتكزون

في عشر ولايات لها في الكلية الانتخابية 244 صوت ، مما يجعل وزنها كبيرا للتأثير ، لان المطلوب لانتخاب الرئيس 270 صوتا، لكن اليهود يوظفون عناصر قوتهم لصالح مصالحهم ومنها اسرائيل، فيعملوا على تكييف القرار الامريكي يما يخدمهم.

الخلاصة:

1- اللوبي اليهودي قوة مؤثرة لأن العرب استسلموا لذلك ولم يضعوا الولايات المتحدة امام الاختيار بين مصالحها عندهم ومصالحها عند اسرائيل، فحجم التجارة الامريكية الاسرائيلية تساوي 23.8%(عام 2022) من حجم التجارة الامريكية العربية، وحجم الاستثمارات المباشرة بين امريكا والعرب 163 مليار مقابل 52 مليار لاسرائيل، ولو حسبنا مشتريات السلاح الأمريكي سنجد انه خلال الفترة بين 2019 لنهاية 2023 اشترى العرب 34.4% من مبيعات السلاح الامريكي مقابل 3.6% اشترتها اسرائيل.

إذن العرب قوة غبية " لديها ادوات التأثير لكنها لا تستعملها"، فالعلاقات الدولية كالطبيعة لا تحب الفراغ، فحيث تغيبون يحضر اللوبي اليهودي.

2- الادهى مما سبق هو ان ليس المصالح الأمريكية هي الاكبر فقط عند العرب ،بل ان العدد الاكبر من المشكلات العربية هي نتيجة للسياسات الامريكية ، فالاضطرابات خلال العشرية السوداء من 2010 الى 2020 ، والتنمر الاسرائيلي على المنطقة، والصراع مع الحركات الدينية المتطرفة ...الخ كلها من نتائج السياسة الامريكية..اي ان لامريكا مصالح هائلة في منطقتنا ومع ذلك هي سبب مشاكلنا الاستراتيجية، فكيف تكون هي المشكلة وهي الحليف...هل هذا دليل وعي ام غباء؟

3- يكفي ان نعلم أن اكثر من 51% من مرات استخدام الولايات المتحدة للفيتو كان ضد الحقوق العربية

(من 92 مرة استخدمت الفيتو لحماية اسرائيل 47 مرة)، ومع ذلك يتحدث بعض وزراء الخارجية العرب عن الصداقة الامريكية العربية وعن الدور البناء لامريكا في رعاية السلام والتطور في المنطقة.

إذن الامر ليس قوة اللوبي..بل شيء آخر ...أتعرفون ما هو؟ نعم صحيح هو ما خطر ببالكم للتو ...